بالتجريد علمت ان هذا الترجيع منه عليه الصلاة والسلام كان اختيارا لا اضطرارا
لهذا الناقة له فان هذا لو كان لاجل هذا الناقة لما كان [illegible] الاختيار فلم يكن
عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتاسى به [illegible] ليس
هذا الراحلة له حتى ينقطع صوته ثم يقول كان يرجع في قراءته فحسب
الترجيع الى فعله ولو كان من هذا الراحلة لم يكن فعله فعل يسمى ترجيعا وقد
استمع عليه الصلاة والسلام ليلة لقراءة ابي موسى الاشعري فلما اخبره بذلك قال
لو كنت اعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا اي حسنته وزينته بصوتي تزيينا
وهذا الحديث يرد على من قال ان قوله زينوا القران باصواتكم من باب
المقلوب اي زينوا اصواتكم بالقرآن فان القلب لا وجه له قال ابن الاثير
ويؤيد ذلك ما سد الاشبه فيه حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكل شيء حلية وحلية القران حسن الصوت والله اعلم **وقد**
اختلف العلماء في هذه المسئلة اختلافا كثيرا يطول ذكره وفصل النزاع في ذلك
ان يقال ان التطريب والتغنين على وجهين احدهما ما اختصته الطبيعة
وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعلم بل اذا خلي في ذلك وطبعه واسترسلت
طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فهذا جائز وان اعانته طبيعته
على فضل تزيين وتحسين كما قال ابو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم لو علمت
انك تسمع لحبرته لك تحبيرا والحزين من هاجه الطرب والحب والشوق به
لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ولكن النفوس تتملاه
وتستحليه لموافقة الطبع وعدم التكلف والتصنع فهو مطبوع لا مطبع وكلف
لا متكلف فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويسعونه وهو التغني المحمود والذي
يتاثر به التالي والسامع **والوجه** الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنايع
ليس في الطباع الساحة به بل لا يحصل الا بتكلف وتصنع وتمرن كما يفعل اصوات
الغنا بانواع الالحان البسيطة والتركيبة على ايقاعات مخصوصة واوزان مخترعة
لا تحصل الا بالتعلم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وانكروا
القراءة بها وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره
وكل من له علم باحوال السلف يعلم قطعا بانهم برآء من القراءة بالحان الموسيقا
المكلفة التي هي ايقاعات وحركات مروية بعدد ودة محدودة وايم الله
من ان يقرؤها ويوسعوها ويعلم قطعا انهم كانوا لا يقرؤن بالتحزين
والتطريب ويحسنون اصواتهم بالقرآن ويقرؤنه شجا تارة ونطويا اخرى
وهذا امر في الطباع ولم ينه عنه الشارع مع شدة تعارضي الطباع له بل
ارشد اليه وندب اليه صلى الله عليه وسلم واخبر عن استماع الله لمن قرأ به

وقال

وقال ابن [illegible] منا من لم يتغن بالقرآن وليس المراد الاستغنا به عن غيره كما
ظنه بعض [illegible] بل لذكر حسن الصوت والجهر به معنى والعرف
في كلا[illegible] هو الغنا الذي حسن الصوت بالترجيع قال الشاعر
[illegible] ما كنت قايله ان الغنا لهذا الشعر مضمار
وروى [illegible] ابي شيبة عن عقبة بن عامر مرفوعا تعلموا القران وعنوا به واكتبوا
الحديث والله اعلم **وقد** صح انه صلى الله عليه وسلم سمع ابا موسى الاشعري
يقرا فقال لقد اوتي هذا مزامير ال داود يعني من مزامير
داود نفسه كما ذكره اهل المعاني وفي طريق اخر كما تقدم ان ابا موسى قال
يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا **قال** ابن المنير فهذا دليل
على انه كان يستطيع ان يبلغ اشجى من المزامير عند المبالغة في التحبير لانه قد
تلي مثلها وما بلغ الحد فكيف لو بلغ حد استطاعته **وقد كان** داود عليه
الصلاة والسلام اذا اراد ان يبكي على بني اسرايل يجوع سبعة ايام لا ياكل ولا
يشرب ولا ياتي النسا ثم يامر سليمان فينادي في الضواحي والنواحي والاكام
والاودية والجبال ان داود يجلس يوم كذا ثم يخرج له منبر الى الصحرا فيجلس
عليه وسليمان قايم على راسه فناتي الانس والجن والطير والوحش والهوام
والعداري والمخدرات فيسمعون الذكر فياخذ في الثنا على الله بما هو اهله
فتموت طايفة من المستمعين ثم ياخذ في النياحة على الميتين فتموت
طايفة فاذا اسخر الموت بالخلق قال له سليمان يا نبي الله قد اسخر الموت
بالناس وقد مزقت المستمعين كل ممزق فيخر داود مغشيا عليه فيحمل
على سريره الى بيته وينادي منادي سليمان من كان له مع داود قريب
او حبيب فليخرج لا فتقاده فكانت المراة تاتي بالسرير فتنفق على زوجها او ابنها
او اخيها فيدخل به المدينة فاذا افاق داود في اليوم الثاني قال سليمان
ما فعل عباد بني اسرايل فيقول له سليمان فلان مات وفلان وهلم جرا
فيصيح داود على راسه وينوح ويقول يا رب داود اغضبان انت على داود
حتى انه لم يمت فيمن مات خوفا منك وشوقا اليك فلا يزال ذلك دابه
الى المجلس الاخر وقام داود عليه السلام على ذلك ما شا الله تعالى ولا يظن
ما ذكرته من حال بني اسرايل انهم في ذلك اعلا من هذه الامة **واما المزامير**
فحسبك ما ذكر من حال ابي موسى الاشعري رضي الله عنه **واما** الموت
من الموعظة شوقا او خوفا فلنا فيه طريقان احدهما ان نقول ان القوة
التي اودعها هذه الامة مقام الاحوال الوارد عليها فيمسك الحياة ولا يفني
القوة الجسمانية بل القوة الروحانية والتاييدات الالهية تفرط قوة

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)